تصرخ وتأوه ، ووجهها أغبر قاتم ، وجسمها يتلوى من الألم ، ويداها على معدتها تضغطان بعصبية وتقلص ، فصاحت أختها ما بك ! ما بك ؟ وضمتها الى صـــدرها تسندها من الوقوع فوقعتا على الدرج معا . وهزتها ثانية ما بك ؟ فتمتمت بصعوبة مريرة متألمة « شربت سما »

كلمتان هما آخر ما نطقت . كلمتان قلبتا العيد مأتما ، كلمتان حولتا شابة مليئة بالحياة والنشاط الى جثة هامدة لا تحس ولا تشعر . واجتمع الاهل والصحب والخلان حول ضحية العيد ، منهم من أسعفه البكاء فبكى ، ومنهم من حيرته الفاجعة فذرب لسانه باسبابها وصاح يستلهم الجثة جوابا عما حير فكره وصدع قلبه . ومنهم من وجم يستعرض في وحدته صورا تتتالى فلا تشعر ارتباطا في تتاليها ولا أثرا لمرورها في مخيلته . وأخيرا منهم من اختل توازن أعصابه وفقد القدرة على حكمها ، فراح لسانه ينطق بكل ما يمر في خاطره المضطرب المحموم

وفي الصباح جاءتها صديقاتها بوروردهم البيضاء وكأنهم آتون لعرسها ، ثم أودعوها حفرة ضيقة وعادوا جميعا وكل منهم يظن أنه في حلم مروع يتلمس اليقظة منه فلا يصحو . ومتى كانت الحياة الا رؤى تتتابع ! رؤى نراها افرادا فنختلف في حقيقتها ، ورؤى نراها جماعة فنجمع على حقيقتها ؟

أودعوها حفرتها ، وأودعوا سرها معها ، ولكن متى دخل لسان الناس افواههم ؟ متى استراح لسان الناس في أشد المواقف استدعاء للاستراحة ؟ هل احترموا جلال الموت ؟ هل خشعوا امام فجيعة مريرة للأسرة بأجمعها ؟ كلا ! لم يخلق اللسان الا للكلام ، فاذا سكت لم يحقق الغرض من خلقه ، واذا لم يحقق جزء من المخلوقات الغرض من خلقه فقد اختل نظام الكون كله !

وفي العيد تجتمع الاسرة لاعلى مائدة الافطار وانما حول قبرها في مدينة الاموات الهادئة ، وهناك تناديها فلا تجيب كما كانت تفعل منذ عام ، وهناك تبكيها فلا تشاركها شعورها كما شاركتهم الابتسامة والفرح منذ عام ، وانما ترفرف روحها من عليائها رائحة غادية لا ترتبك ولا تضطرب ، فليس لديها ما تخفيه وقد حجبها الفناء بأستاره الكثيفة المظلمة .

سهير القلماوي

التطور وروح الدين

للاستاذ محمود الشرقاوي

« انا وجدنا الشارع قاصدا لصالح العباد . والاحكام العادية تدور معه حيثما دار . فقرر الشيء الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة . فاذا كان فيه مصلحة جاز »

« الشاطبي »

لكل دين من الأديان روح تسيطر على مجموعه ، وتتمشى في أصوله وفروعه . وتميز دعوته وتربط أحكامه جميعا ، وتساوق بين أجزائه وتوجه تيارها الى غاية خاصة ،

والاسلام يمتاز من جميع الأديان بأنه دين عام خالد لا دين بعده ولا رسالة . فهو لذلك قد جمع الله فيه كل ما تحتاج إليه البشرية من الأصول لجميع ظروفها وأحوالها وأزمانها وأماكنها ، والحياة البشرية متغيرة سريعة التحول والانقلاب والسير في طريق التطور من حال إلى حال ومن قديم الى جديد ، وبالأخص في عصرنا هذا الذي تضاعف فيه سير الحضارة ، واختلطت الشعوب والأفكار واستولى على الأنسانية كلها ما يشبه الحمى في سرعة التحول والانتقال

فهل روح الأسلام وغايته العليا تعارض سير الحضارة وتقدم العالم ؟ وتلزم البشرية بالوقوف عند حال واحد لا تتعداها إلا اذا تركت الدين واستعاضت عنه باشياء مدنية لابد منها لاستكمال الحياة البشرية واطراد السير فيها والتطور من حال الى حال ؟ أما أنا فأجيب بأن الأسلام لا يتعارض بتاتا مع سير البشرية وتحولها . وأنه دين لين واسع الأفق ، نستطيع أن نوفق بين روحه وبين كل مظهر من مظاهر الحضارة ، وأن نجد في نصوصه ما يساير الأطوار المختلفة التي تتخطاها البشرية في عصورها المتباينة ، وهذا ما أريد أن أكتب عنه في هذا الفصل ،

ويجب أن نلتفت إلى الفرق بين « روح » الدين وغايته . وبين أحكامه الفرعية وتطبيقها ، والفرق بين الدين كشعور وعقيدة وإيمان ، والدين كتقاليد وأشخاص دينيين ومظاهر كنسية للحكم والسيطرة . فروح الدين وجوهره هو الشيء الخالد الباقي الذي لا يتعارض مع أي عصر . والذي تجد فيه كل حضارة وكل أمة في كل زمن ما يتفق مع احتياجاتها ويعينها ويسددها في سبيل الغاية العليا والكمال البشري

الذى تسير اليه ، روح الدين وجوهره هو الشىء الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وعلى هذا الفهم نستطيع أن نجد فى نصوص الدين الاسلامى وفى تاريخه أشياء تؤكد لنا أنه دين يستطيع أهله أن يجدوا فيه كل ما يتفق مع مظاهر الحضارة التى تغمرهم وتجذبهم اليها وتستولى عليهم وعلى جميع الدنيا طوعاً أو كرها .

وهذه أشياء أذكرها تؤيد ما أقول وتفصح عما أريد :

هذه المسايرة للزمن ، وتطبيق الاحكام على ملابسات الاحوال والظروف واختلافاتها . مع المحافظة على جوهر النصوص وروح الدين . نجدها عند شخصيات فى قلوبها بصيرة للوقوف على مراميها وإدراك الغاية منها وعدم التقيد بحرفيتها ، ونجدها فى بيئة تختلف عن البيئة التى عرفنا فهمها لهذه النصوص ودرسنا ماقالته فيها وما استرشدت فيه بحاجاتها وحدودها العقلية والمدنية ومميزاتها الجغرافية والتاريخية

فمثلا إذا كنا فى عصر هين لين نحتاج فيه إلى زيادة الانجاب والنسل ، نجد من روح الاسلام ما يشجعنا على التكاثر والتناسل والنماء . وإن كنا فى عصر عسير محرج ضيق نحتاج فيه إلى القصد فى الانجاب والالتفات فيه إلى الكيفية لا إلى الكمية . فنجد من روح الاسلام ما يجعلنا نخفف من نسلنا ونتقلل على ما نريد . بل نمتنع منه إذ نريد . نجد صحابيا جليلا وحاكما قادرا يبيح لنا التقليل من النسل . بل يوشك أن ينهانا عن العيال : « يامعشر الناس : إياكم وخلالا أربعة ، فانها تدعو إلى النصب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السعة ، والى المذلة بعد العزة ، إياكم ، وكثرة العيال ، وإخفاض الحال . . . . الخ » (١)

وإذا كنا فى عصر يتشدد أهله فى علاقاتهم الزوجية ولا يمتهنون رباط الأسرة ، ويعرفون أن أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، فنحن نستطيع أن نجد فى أحكام الامام والخليفة عمر بن الخطاب ما يجعل الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثا ، وإذا كنا فى عصر مثل عصرنا الحاضر وهنت فيه العلاقات الزوجية واضطرب رباطها وأصبحت ألفاظ الطلاق على كل لسان ، فنحن نستطيع أن نجعل الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة ، ونجد فى نصوص الاسلام ما يبيح لنا ذلك كما وجدنا ما أباح لنا الأول : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناة . فلو أمضيناه عليهم ؟ فأمضاه عليهم » (٢) وهذا ما فعلناه نحن فى مصر ،

وإذا كنا فى إقليم وفى مجتمع يلزمنا عمرة خاصة للرأس . وكان غيرنا من المسلمين فى إقليم أو مجتمع يلزمهم عمرة للرأس خاصة غير عمرتنا ، أو يجعلهم يسيرون حاسرين ، نجد من روح الاسلام ما يجعلنا نلبس ما نشاء . ويجعلهم هم من روح الاسلام ما يجعلهم يلبسون ما شاؤوا أو يحسرون كما يشاؤون : « كل ماشئت واشرب ماشئت ما أخطأتك اثنتان : سرف أو مخيلة » (٣)

٥٥٥

الامام الشاطبى من أعلم الرجال فى أصول الدين . ومن أبرعهم وأوسعهم ذهنا فى تطبيق النصوص الدينية والموازنة بينها وبين الأحوال . وله كلام يجب على كل رجل من رجال الدين أن يتدبره ويعتبره ، لما يدل عليه من فهم جيد لروح الاسلام ومسايرته لكل عصر وكل حضارة . وطواعية احكامه ونصوصه لأن توافق كل حضارة وكل جيل .

يقول الشاطبى : « . . . والمسكوت عنه من الشارع لا يقتضى مخالفة . ولا يفهم الشارع قصداً دون ضده وخلافه . فاذا كان كذلك رجعنا إلى النظر فى وجوه المصالح . فما وجدنا فيه مصلحة قبلناه إعمالا للمصالح المرسلة . وما وجدنا فيه مفسدة تركناه إعمالا للمصالح أيضا . وما لم نجد فيه هذا ولا هذا فهو كسائر المباحات إعمالا للمصالح المرسلة أيضا » (٣)

ويقول : « إن الشارع توسع فى بيان العلل والحكم فى تشريع باب العادات . وأكثر ما علل فيها بالمناسب الذى إن عرض على العقول تلقته بالقبول ، ففهمنا من ذلك أن الشارع قصد فيها اتباع المعانى لا الوقوف مع النصوص » (٤)

---

(١) من خطبة لعمرو بن العاص خطبها فى مصر أيام ولايته الأولى عليها ، أوردها ابن عبد الحكم فى فتوح مصر وأخبارها ص ١٣٩ طبع ليون وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ص ٧٣ — ج ١ »

(٢) صحيح مسلم ص ١٨٣ ج ٤

(٣) ابن عباس رضى الله عنه

(٣) الموافقات للشاطبى ص ٢٨٩ ج ٢

(٤) ص ٢١٣ من نفس الجزء والكتاب

وللشاطبي أشياء في غاية الجمال والابداع من هذا الفهم الواسع المحيط . وهذه النظرة الشاملة النافذة الى جوهر الدين وحقيقته الواعية لروحه الكلي الشامل ، وعلى رأس هذا الفصل فقرة هي الدستور الذي يجب ان يستوحيه كل مفكر ديني

يقول الشاطبي ايضا : « قد تكون العوائد ثابتة وقد تتبدل ومع ذلك فهي أسباب لأحكام تترتب عليها .... والمتبدلة منها ما يكون متبدلا في العادة من حسن إلى قبح وبالعكس . مثل كشف الرأس فانه يختلف بحسب البقاع في الواقع . فهو لذوي المروءات قبيح في البلاد الشرقية . وغير قبيح في البلاد المغربية . فالحكم الشرعي يختلف باختلاف ذلك ، فيكون عند أهل المشرق قادحاً في العدالة ، وعند أهل المغرب غير قادح ، واعلم بأن ماجرى ذكره هنا من اختلاف الأحكام عند اختلاف العوائد ، فليس في الحقيقة باختلاف في أصل الخطاب . لأن الشرع موضوع على أنه دائم أبدي لو فرض بقاء الدنيا من غير نهاية » (١)

* * *

ويقول سيدنا عمر بن الخطاب عن الرمل في الحج : « فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب ، وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ... ؟ » (٢)

وسرق جماعة لحاطب بن أبي بلتعة ناقة لرجل من مزينة . فلما أرسلوا إلى عمر بن الخطاب أقروا على سرقتها ، فأمر كثير بن الصلت أن يقطع أيديهم . ثم ردهم وقال : « إنهم يجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له ، ولم يقطع أيديهم » (٣)

ولما جاءت المجاعة والقحط في سنة ١٨ هـ أيام خلافة عمر بن الخطاب لم يقطع أيدي السارقين

* * *

نحن نستطيع أن نسير مع كل حضارة . وأن نأخذ عن حضارة الغرب مايفيدنا وينعشنا ويلقح حياتنا باللقاح المجدد ، ولا نجد في روح الاسلام مايصدنا عن ذلك .

ولكن المشكل هو في وجود الرجال الذين يفهمون روح الدين بالعقل اليقظ الواسع الحر العارف حاجات العصر وتيارات الحضارة والذهن البشري ؟

محمود الشرقاوي
عالم من الأزهر

(١) ص ١٩٨ — ١٩٩ — من الموافقات ج ٢
(٢) تاريخ عمر بن الخطاب لابي الفرج بن الجوزي ص ٩٢
(٣) أعلام الموقعين ص ٣٢ ج ٣

الاسماعيلية

الملقبون بالحشاشين (١)

مقدمة

هذا بحث موجز لطائفة الاسماعيلية التي عرفت اخيرا عند أهل التاريخ بطائفة الحشاشين ، والتي تركت في تاريخ الاسلام في القرن الرابع الهجري أثراً كبيراً ، وتاريخ الاسماعيلية قديم يرجع الى عام ثمانمائة وأربعين للميلاد ، بعد أن انتشر الدين الاسلامي وساد كثيراً من الأقاليم والبلاد ، فقام بانتشاره دعاة في أقاصي الجهات وأدانيها يحاولون الحط من قدر الرسول ، ويخترعون الأحاديث الملفقة اختراعا يقلل من هيبة الدين الاسلامي ، وينزل به من مستواه الرفيع ، وكان أنشط أولئك القوم وأكثرهم تحمساً ، ابن ديصان ، ويقال إنه الجد الأعلى لعبد الله المهدي الفاطمي (٢) صاحب الدعوة بأفريقية ، فقد كان يكره بني العباس ويود لخلافتهم الزوال ، فبث دعاته في بلاد الفرس حوالي عام ٨٤٠ م حيث تبعه خلق كثير ، وألف كتاباً في الزندقة سماه « الميزان » وألف ممن تبعوه عصابة سرية نسبت نفسها الى اسماعيل بن جعفر الصادق فسميت بالاسماعيلية ، ثم انتشر أتباعه بمرور الزمن في جزيرة العرب والشام وأفريقية ، وظلوا نحو قرنين ونصف قرن ، تسري تعاليمهم في جسم الدولة الاسلامية كسريان السم في العروق ، حتى جعل منهم الحسن « ابن الصباح » أخيراً عام تسعين وألف للميلاد طغمة سياسية تقلب الممالك وتخرب العامر من الديار ، وتسفك الحرام من الدم ، وتعمل في مختلف البلدان سلباً ونهباً وقتلا ، وتدمن تعاطي الحشيش حتى لقبوهم بالحشاشين وسماهم الفرنجة Assassins وأطلقوا هذا الاسم على كل قاتل سفاك ، وبقوا على تلك الحال

(١) كلمة « الحشاشين » تعبير محرف لجماعة القتلة الاسماعيليين ؛ والصواب « الحشيشية » فهي الكلمة التي تطلقها عليهم الرواية الاسلامية المعاصرة . وهكذا يسميهم أقدم مؤرخي الحروب الصليبية من المسلمين مثل العماد الاصفهاني صاحب « الفتح القسي » وشهاب الدين المقدسي صاحب الروضتين (راجع الروضتين . ج ١ ص ٢٥٨) (الرسالة)

(٢) هو عبيد الله المهدي الفاطمي لا عبد الله (الرسالة)